وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية الفنون الجميلة
قسم التربية الفنية

# تاريخ الفن القديم

المرحلة الاولى

الكورس الاول

صباحي /مسائي

المحاضرة السادسة

**فنون العصر الكشي**

**( العصر البابلي الوسيط) (سلالة بابل الثانية)**

القرن السادس عشر - القرن الثاني عشر قبل الميلاد الكشيون قوم من الأقوام الهندواوربية . اشتق اسمهم من الكلمة البابلية (كشو) والتي تعني القوة والبأس . ويحتمل أن اسمهم ماخوذ من اسم الههم القومي . وكان الكشيون اقلية حاكمة بالمقارنة مع الغالبية من سكان البلاد. وقد طغت عليهم حضارتها فاندمجوا بها وصهرتهم في بودقتها فاتخذوا لغة البلاد وثقافتها العامة . وبشكل عام كان الكشيون اقل ثقافة من البابليين . فاظهروا قوة تكييف ملموسة لهذه الحضارة الراقية انذاك .

فهم كشعب بدائي غير متحضر قد وجدوا انفسهم وجا لوجه ازاء تراث مليء بالابداعات . ومع ذلك كان لهم من الذكاء ما يكفي للحفاظ عليه وعلى سلامته بدلا من تدميره ، ولذلك فان الكشيين كانوا بصفة جوهرية متابعين ومقلدين في أغلب الأحوال لا مبدعين ، وهذه الصفة تبدوا واضحة في فنونهم التي شملت فن العمارة والنحت والرسم.

**فن العمارة الكيشية :**

اتسم العصر الكيشي بخلوه من احداث المشاحنات الحربية فقد عقد الكشيون معاهدات ودية مع الاقوام المجاورة ، فبدلا من النشاط الحربي شغل الملوك الكشيون انفسهم في المشاريع العمرانية في مختلف المدن العراقية القديمة المهمة، وفي مقدمة ذلك تجديد معابد الالهة العراقية الكبيرة . ففي مدينة الوركاء بني الملك الكيشي

(كرنداش )معبدا جميلا العبادة الآلهة (انانا) سوف نخضعه للدراسة لغرض توضيح الصفة الكيشية في عمارة المعابد وخواصها المعمارية الفنية .

يتميز هذا المعبد بصغر حجمه قياسا بالمعابد البابلية . اذ انه يحتل مساحة صغيرة من الأرض . وهو ذو شكل مستطيل يحيط به سور خارجي سميك زودت زواياه بتكوينات معمارية اشبه بالأبراج . وما عدا ذلك تخلو أضلاعه من نظام الطلعات والدخلات تلك الصفة المعمارية التي لازمت المعابد العراقية القديمة منذ ظهورها اول مرة ، ويضم بداخله غرفة كبيرة نوعا ما كرست لوضع تمثال الاله ويحيط بهذه الغرفة على امتداد ضلعيها الطويلين ممران ضيقان . ان هذا المخطط الأرضي مغاير تماما لمخططات المعابد العراقية القديمة لأنه لا يضم بداخله ساحة مكشوفة تعتبر بمثابة الجزء الأساس في تخطيط المعابد. كما ان له مدخلا ذا قمة مقببه اشبه بشكل القوس . فمثل هذا النظام استخدم في معابد كيشية اخرى . بيد انه قليل الظهور في تقاليد العراق القديم المعمارية .

يتمثل الشيء الجديد في عمارة الكيشيين أيضا بمنحوتات آجريه بارزة متواصلة بشكل افريز كسيت بها واجهة المعبد ، ارتفاعها يتراوح بين مترين الى ثلاثة أمتار شيدت من أجر مزخرف كل أجرة فيه عملت بقالب خاص بها . وقد جمعت من جديد إلى بعضها البعض في المتحف العراقي وفي متحف برلين . وتكونت منها اقدم الأمثلة على النحت المعماري الكيشي.

يتألف هذا الافريز من آلهة تقف في فجوات جدارية او حنايا اشبه بالدخلات ، فهناك إله الجبل تم تمييزه بأشكال الزخرفة التي تشبه حراشف الأسماك التي تكسو جسمه ، يتناوب بالظهور مع إلهة الماء التي تم تشخيصها عن طريق شكل امواج

الماء التي تغطي واكثر من ذلك فان الأجر المقولب بأشكال ادمية كان جزء اساسية لأنشاء البناء. وهو وان كان له مظهر النحت إلا أنه قد فقد قيمته المعمارية حتى عندما يبدوا كمحنوتات حقيقية، أي انه بخلاف الفسيفساء السومرية المعمولة من مخاريط ملونة مغت البارز الكيشي المعمول من الاجر ليس ستارا يخفي المناطق المشوهة من البناء وانما هو بحد ذاته وسيلة من وسائل التعبير المعماري ، وهذا في الواقع يمثل بدعة فنية معمارية كيشيه بحته . اتخذ الملوك الأوائل من السلالة الكيشية مدينة بابل عاصمة لحكمهم ولكنهم اسسوا في حوالي القرن الخامس عشر (ق.م)، عاصمة جديدة ، أسموها (كوريكالزو) وتقع على بعد (٢٠) ميل غرب مركز بغداد وتعرف بقاياها الان باسم (عكركوف) ولغرض ان نتاكد بشكل عملي من أن الكشيين كانوا بصفة جوهرية متابعين لا مبدعين ، هو أن نتفحص مخطط عاصمتهم الجديدة التي كانت تهيمن عليها زقورة عظيمة بقي من ارتفاعها زهاء (بستة وخمسين مترا ) وقد بنيت على وفق التقاليد المعمارية السومرية القديمة الى الدرجة التي يمكن عدها زقورة سومرية نموذجية. ويحيط بزقورة المدينة عدد من المعابد والقصور التي بنيت هذه المرة على العكس من عمارة معبد الوركاء ل (كراندش) السابق الذكر، بل بنيت بنفس التقاليد المعمارية البابلية . اذ ان كلا منها يتألف من ساحة مركزية واسعة تتوزع على جوانبها الأربع صفوف من الغرف والممرات الضيقة .

**فن النحت الكشي:**

تعد مدة العصر الكشي من افقر الأماد في نماذج النحت المجسم الحجرية ، فعلى الرغم من استكشاف عاصمتهم (كوريكالزو ) كلية الا انه لم يتم العثور إلا

على كسر قليلة من تمثال لاحد الملوك ومثل هذه الكسر القليلة التي لم يتم جمعها الى بعضها ، لا يمكن ان تبرهن على شيء سوى انها تقدم دلالة ضعيفة على معرفتهم بنحت الحجر، ويبدو أن الكشيين قد عوضوا عن افتقارهم للمهارة في نحت الحجر بمادة أخرى يسهل تشكيلها من قبل نحاتيهم المبتدئين . ولا تحتاج لمهارة تقنية عالية في مجال النحت وهي (الطين) الذي يتميز بمطاوعته للنحت ، فهو يحرق في النار بعد نحته كي يتصلب. فلدينا من العصر الكشي رأس فخاري صغير بنصف الحجم الطبيعي تقريبا لرجل ملتح محفوظ في المتحف العراقي ببغداد . وقد لون بالالوان كوسيلة لتقريبه من شكله الطبيعي ، فلونت بشرة الوجه باللون الأحمر بينما استخدم اللون الاسود التلوين شعر الرأس والذقن وتحديد خط الحاجبين وفتحتي العينين .

ان جمالية هذا العمل الفخاري المتواضع في النحت المجسم يكمن في اللمسات المهمة التي شكلت بها ملامح وتفاصيل الوجه . وفي الالوان الطبيعية التي أضافت لشكله واقعية اكثر. شكل (4).

تفوق الكشيون في نحت تماثيل حيوانية من الفخار ايضا ففي الوقت الحاضر يحتفظ المتحف العراقي بتمثال لبوة من الفخار، على الرغم من فقدان اطرافها الأربع الا انها بقيت تحتفظ بقوتها التعبيرية العالية والواقعية الكبيرة التي مثلت بها ملامح الوجه وبقيت تشير الى المهارة العالية التي يمتلكها النحات في هذا العصر في هذا العصر في اعمال النحت الفخاري.

فالنحات هنا تمكن من معالجة عضلات جسم الحيوان بأسلوب جميل وناجح وتمكن كذلك من اظهار طابع الشراسة على وجه اللبوة ومثلها تمثيلا حقيقيا في وضعية السير وهي تتقدم برشاقة وبخطى لا صوت لها نحو فريستها.

وفي النحت البارز اختفى ذلك العدد الهائل من نماذج النحت البارز كالمسلات والألواح النذرية ، وحل محلها نموذج واحد من المنحوتات البارزة يعبر تعبيرا حيويا عن الروحية الكشية في هذا النوع من انواع النحت ، وهذا النموذج هو احجار الحدود او (الكدورو) . كما يسمى في لغة هؤلاء الناس، واحجار الحدود هذه التي يحتفظ المتحف العراقي ومتحف اللوفر بأعداد منها تعمل بأنواع مختلفة من الحجارة وتكون ذات شكل منتظم يكون مستطيل في اغلب الاحيان ولها قمة محدبة يتراوح ارتفاعها بين (٥٠-١٠٠) سم وهي فضلا عن قيمتها الفنية كانت تؤدي وظيفة عملية . اذا كانت بمثابة سندات الطابو في الوقت الحاضر. فكانت تدون عليها ممتلكات الناس وحدودها من الأراضي وتودع في المعابد.

تنحت احجار الكدورو هذه على وفق اسلوبين . ينحت الحجر في الأسلوب الأول من وجه واحد. وفي هذه الحالة يخصص فراغ علوي لتصوير مشهد ديني معين بينما يخصص القسم السفلي لكتابة حدود الأراضي والممتلكات . اما الاسلوب الثاني فينحت الحجر من وجهين او اكثر وهنا يخصص الوجه الامامي كله لتمثيل المشهد الديني . بينما تكتب نصوص الكتابة باللغة المسمارية على الوجه الاخر .

تصور مواضيع هذه الأحجار في أغلب الأحيان مشاهد دينية . قد تنشر أحداثها على سطح الحجر نشرا حرا دون التقيد بنظام معين ، او تقسم الأرضية الى عدد من الحقول يتم ملؤها بأحداث المشهد ، وتتنوع هذه المواضيع بين مشاهد تقديم متعبد امام اله جالس او واقف ، ومثل هذا الموضوع له مشابهاته الأكيدة في مواضيع النحت البارز السومري - الاكدي - البابلي ، وبين مشاهد تتكون من عدد كبير من رموز الالهة العراقية القديمة ، وتلك التي أضافها الكشيون من مجمع الهتهم الخاص

، فمثل هذه المواضيع تتجسد قوتها بالرمزية وبالتصوير الصارم الذي صورت به مواضيعها بقصد ايقاع الرعب بمن تسول له نفسه ان يتلاعب بنصوص هذه الأحجار.

تبرز مسألة افتقار الكشيين الى المهارة اللازمة للنحت في اسلوب نحت هذه الأحجار ، فقد نحتت بمشاهد ذات اشكال بسيطة اعتمد النحات على تمثيلها بالتخطيط البسيط من دون الخوض في توضيح تفاصيلها الدقيقة لكونها تخدم اغراضا عملية، فهي مستندات هبة وبيع وشراء رسمية ولم يقصد منها تصوير موضوع مهم كانتصار ملك عظيم في واقعة حربية مهمة او تخليد انجاز ديني عظيم ذلك الأسلوب البديع الذي تفوق فيه النحاتون القدماء من سومريين واكديين وبابليين .

**الأختام الاسطوانية الكشية:**

ان غنى نتاجات الكشيين الفنية كانت في مجال النحت على سطوح الأختام الاسطوانية الصغيرة جدا والتي تحتاج بكل تأكيد الى مهارة فنية عالية لتنظيم ونحت مشاهدها . فقد ظهر طرازان من الأختام الاسطوانية في هذا العصر يختلف كل منهما عن الاخر بأسلوب نحته وموضوعاته التي يعرضها .

الطراز الاول وهو الاقدم يغطي سطوح الاختام فيه عدد كبير من اسطر الكتابة المسمارية ،فتحولت الى صلوات مطولة وخلقت نوعا من الجمود والرتابة على سطح الختم في حين يحتل المشهد الممثل بأسلوب بسيط جزء صغيرا من السطح ويصور عادة متعبدا يقف بين يدي اله جالس او واقف وبعض الرموز الكشية الخاصة كشكل الصليب والمعين والكلب التي استعملت لملء الفراغات فحولت

سطح الختم واكسبته شكلا زخرفية مزدحما وهذا الطراز يحمل تأثيرات بابلية كبيرة بأسلوب نحته ومواضيعه .

اما الطراز الثاني فيعد من ابداعات الفنان الكشي ، وقد ظهر في اواخر هذا العصر ويتميز بخلوه من اسطر الكتابة وبجمال توزيع اشكال المشهد على سطح الختم الذي يقسم على حقلين افقيين يتم ملؤهما بأحداث المشهد الذي يؤطر باطار خارجي يحتوي على وحدات هندسية كأشكال المثلثات . وتتميز مشاهدها في غني تركيبها التصويري والحركات القوية والحيوية الكبيرة وقوة التعبير التي يظهرها. اما اسلوب نحتها فيمتاز بالدقة والعناية في حفر الاشكال والوضوح في ابراز تفاصيلها الجزئية والداخلية واهم مواضيعها صور لأشخاص وحيوانات واشجار وطيور في فعاليات مختلفة اشهرها احداث الصراع العنيف بين الأشكال البشرية وحيوانات اسطورية.

**فن الرسوم الجدارية الكشية**

واظب الكشيون على استخدام التقاليد القديمة للرسم الجداري . تلك التقاليد التي ابتدعها السومريون . وترسخت كثيرا خلال العصر البابلي القديم . ولم يتغير الكثير من هذه التقاليد. ذلك لان الرسم ما يزال يستخدم لتزيين جدران القصور ولازالت المشاهد في نطاق جو اللون القديم . وهو الاسود والابيض والاحمر على طلاء طيني سميك او على الجص في بعض الأحيان ، ولسوء الحظ فقد اتلفت معظم الرسوم الجدارية من هذا العصر لعله بسبب تأثيرات الطبيعة . ما عدا رسم جداري واحد كان يزين جدار احدى القاعات الكبيرة في واحد من قصور مدينة (كوريكا

لزو) . يمثل الرسم صفا من رجال يمشون بخطى واسعة وهم من الموظفين على اكثر احتمال . يدخلون القصر ويخرجون منه الاعمال وظيفية يؤدونها. وقد ظهروا سوية على سطح تصويري مستطيل محاط بحاشية محلاة بزخارف ذات اشكال هندسية ، وخططت الأشكال اولا بيد ماهرة باستخدام اللون الأسود، الذي استخدم كذلك لتلوين شعر الرأس والذقن ومن ثم لونت الاجسام باللون الأحمر .

اما الملابس التي تتالف من طربوش على الرأس ورداء طويل يغطي الجسم ويصل حتى مستوى القديمن . فقد لونت باللون الابيض بينما لونت حليتها التزينية باللون الاسود . صور الرجال باكتاف عريضة واجسام ممتلئة ويبدو أن رؤوسهم تستقر على اكتافهم مباشرة كما لو أنهم لا رقاب لهم ، وعدا ذلك فان هذا المشهد يتميز بجمال الخطوط ووجود طابع الحركة الذي عبر عنه الفنان بحركة الرجال القوية والذين ابدوا استعدادا هم لخدمة سيدهم حتى في اصعب الظروف .